قُربَ العَرش.. فَوقَ النعش (*)

(*) نشرت في مجلة "عشتار العدد: ٨- شتاء- ربيع ١٩٩٦ بعنوان "اردية الموت"

الشخصيات

- الشخص
- الشيخ
- الاول
- الثاني

بربك لنجلس على الارض

فنروي الاقاصيص الحزينة عن موت الملوك:

كيف ان منهم من عزل ومنهم من في الحرب قتل،

منهم من لازمته اشباح الذين عزلهم،

ومنهم من مات مسموما من زوجته، او قتل وهو نائم:

فكلهم غيلة لاقوا حتفهم.

شكسبير

[ظلام يخيم على المسرح، موسيقى تشبه هزيز الرياح، تتخللـــها اصـوات العواصف وهزيم الرعود، يشق الظلام، بين آونة واخرى سنا برق يلتمع، فينـــير المكان، ويتوضح الشكل القائم على المسرح. انه بناء غريب. يكتنفه الغمـــوض. مقام من صخور ضخمة. ذات نتوءات بارزة، مركبة فوق بعضها البعض. بصورة عشوائية بلا تناسق ولا انسجام، توحي بالبدائية والوحشية، واجهتـــه الاماميـــة قضبان حديد جبارة. متينة وغليظة. كانها مواسير مياه.

خلال التماعات البرق، وقبلما يعود الظلام إلـــى الالتئـــام، يكـــون بوســـع المشاهد ان يرى شخصا ملقى فوق الارض، بلا حراك نائما، او في غيبوبة، وهو في ملابس خاصة للصيد. تتسم بالبذخ، بشكل ملفت للنظر.

تمر فترة مناسبة، تستمر خلالها اصوات الرعود والعواصـــف والتماعـــات البرق.. كما تستمر طوال زمن العرض. تخفت او تنقطع فـــي اوقـــات يختارهـــا المخرج.

الشخص يتملل، صدره يعلو ويهبط. أنفاسه تتلاحق بثقل. وهـــو يتنفـــس بصعوبة بالغة. تصدر عنه أصوات من يوشك ان يختنق بعد وقت قصير. تتوقـــف الموسيقى تتلاشى الأصوات، يضاء المسرح. يتغير المشهد. ((الرجل يحلم، وقـــت الغسق عراء، ظلام شفيف يوشح، المكان. بضعة فرسان، بملابس صيد باذخـــة. يلوحون برماح طويلة. وهم يطاردون. ثم يحاصرون غزالاً وقبل الامســـاك بـــه، يفلت منهم، يختفي في يسار المسرح. يهرعون خلفه بلا جدوى. يدخل المســـرح فارسان من المجموعة نفسها من جهة اليمين. يحاول الفـــارس الثـــاني اللحـــاق بالاول فيضع رمحه بين ساقيه يجثم الثاني فوقه بكل ثقله، لكن الاول يدفعه عنـــه

ويهرب. يسقطه مرة اخرى. يبرك فوق صدره يدس في حلقه حفنات من الرمـــل. فيصرخ مستنجدا ومستغيثا باصوات مختنقة اشبه بحشرجات شـــخص يحتضـر يحاول النهوض لا يستطيع. يغوص في الرمال. الثاني يهيل فوقـــه المزيـد مـن الرمال وهو يضحك بهستيريا غريبة)) ثم يتبدل المشهد تعود.. اصوات العواصـف والرعود، الشخص في مكانه، افاق من حلمه الكابوسي انفاسه تتلاحـق. صوتـه يختنق. يرفس يتقلب بضع مرات.. يتدحرج.. الخ..]

الشخص: النجد.. د.. العو.. ن.. الغو.. ث.. آآ، أ. نا. اختنق.. آآ.. أمـــوت.. آه لا. لا. (ينتفض. تتوضح نبرات صوته. الظلام ما يزال مخيمـــا.. يبـدو خلاله كشبح.. يتحرك هنا.. وهناك. على غير هدى ولا دراية) اه.. أين انا؟ (يتوجع) اخ.. اخ.. ماذا جرى لي؟ كأن قافلة من البغال داســـتني. اخ. اخ. كل أعضاء جسمي تئن. تتوجع. (يرتجف من البرد. يقفز إلـــى الوراء.. كلما لمع برق. يسد اذنيه اذ ترعد السماء) أي مكان هذا.. يـــا ربي؟ ماذا يكون؟ حصن؟ قلعة؟ اصطبل؟ (يتقدم إلى المقدمة. مســـتندا على الحائط). هيه! من هنا؟ من هناك هيه انت! انت. يامن هنـــاك (لا جواب) انت يا هذا.. يا من في الجوار؟ يا مـــن فـــي أي مكـــان. هـــل تسمعني؟ اجبني. اجبني حسب اجبني.. ارجوك.. ارجو.. ك! ما هذا؟ لا جواب؟ لا احد هنا؟ لا بشر ؟ لا انس ولا جان؟ لا طير ولا حيوان؟ ماذا جرى للجميع؟ هل جرفهم الطوفان؟ (يرتجف) وهـــذا الـــبرد الوحشـــي يخترق العظام يجمد النخاع.. (يبحث هنا وهناك) اما من شـــيء اتدثـــر به! لا شيء البتة؟ (يواصل البحث متلمسا الحائط تارة، زاحفا اخـــرى) حتى لو كان ثمة شيء.. كيف كيف اجده في هذا الظـــلام، (بيـــاس) لا. لا. مستحيل (باحساس شديد بالضيق) أين انا؟ يا الهي اين انـــا؟ لا بـــد

ان يخبرني احد. لا بد ان يجيبني احد. لابد ان اعرف (يصرخ) اجبني يا هذا.. ايا كنت.اجبني اينما كنت.. اجبني.. حسب. ولتاخذك الابالسة.(يضرب راسه بالحائط) أ أنا نائم .ارزخ تحت كابوس؟ أم.. ام يسحقني واقع ابشع من كل الكوابيس؟ انى لي ان اعرف.. انى لي.. يا الهي (يواصل يتلمس الحائط، يبلغ القضبان. يرتد) ما هذه الانابيب المنتصبة هنا .مواسير مياه.؟(يتحسسها) انها قضبان .قضبان حديد(يدق عليها. فيعلو رنين الحديد) قضبان بهذه الضخامة ؟لماذا ؟ ما الحاجة اليها؟ ما حقيقة هذا المكان ؟ معتقل؟محجر ؟ من رماني هنا؟ه-ه.. أأنا موبوء..؟ هل اصابني الطاعون ؟ الجرب؟الايدز..؟ لا.. لا.انا احلم. انا فريسة كابوس شيطاني.. طويل لا بداية له ولا نهاية .اجل.. اجل .لا بد ان يكون الامر قد اختلط علي.. ولم اعد اعي شيئا.. ولكن.. متى افيق. متى اصحو؟و.. و.. اذا لم يكن كابوسا (برعب) يا الهي؟ لماذا انا هنا؟ ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟ انا.. انا لم اسيء الى احد. لم اسبب أي اذى لمخلوق؟ ثمة خطا. بالتاكيد. ثمة خطأ كبير بالقائي في هذا المكان الغريب..؟ آه.. من هذا البرد الصقيع انه يجمد الدماء في عروقي (يحرك اعضاء طلبا للدفء) احسب ان ثمة اناسا مختبئين في مكان ما. يتفرجون علي .يسخرون مني (يركل القضبان) يضحكون علي.. فخورين بلعبتهم القذرة هذه .لا يمكن ان اكون وحدي في هذه المتاهة. (يحتد) يجب ان اضع حدا لهذه المهزلة.. الفاجعة. لا يمكن ان ادعها تستمر الى ما لا نهاية (يضرب القضبان، بقوة، بيديه برجليه. يحدث جلبة وضوضاء) هيا.. هيا ليأت احدكم.. ليظهر.. احدكم.هيا هيا (يقبل شيخ، محدودب الظهر، مترنحا، وهو يفرك عينيه، كمن اخرج من نوم لذيذ عنوة، وهو متدثر بمعطف ثقيل .اكبر من حجمه.في

غاية الانزعاج..)

الشيخ: اية ليلة هذه!.لا يجد فيها حتى الكلب سبيلا الى الراحة (يسعل) بالف تعويذة وتعويذة اقتنصت هنيهة نوم ادفىء عظمي الفارغ المرتعد،واريح هيكلي المتداعي. ثم يأتيني شخص غريب الاطوار، ليخرجني من دفء الفراش ويزرعني بالارق، في هذا البرد القارس اية حياة هذه.. تعسا لعمر ينطفيء في حال مثل حالي..

الشخص: (برقة وتهذيب عاليين) أ أ.. أنا.. اسف.. في.. في.. غاية الاسف..

الشيخ: (بحدة) وماذا يجديني اسفك هذا ؟ ان اطنانا منه لا تدفىء لي اصبعا واحدا من اصابعي العشرين. ولكني لن اتعذب في هذا البرد الشاذ وحدي. وان كان لابد ان اتعذب واموت .فلا بد ان تتعذب وتموت معي انت الاخر..

الشخص: (بصوت مرتجف) أ أ أتعذب.. و.. وأ.. اموت؟

الشيخ: ذلك اخف عقاب يمكن ان تناله جراء تهورك وفعلك الطائش. تمزيق سكون الليل وهدونه. ماذا بك. هل انت مجنون؟

الشخص: م.. م.. مجنون؟ انا.. مجنون..

الشيخ: (يدل) تالله لاصلبنك معي في هذا البرد. هه (يجلس بعناد امام القضبان) لن اغادر هذا المكان حتى تغادر روح احدنا جسده.هه او.. او.. تعيدني الى النوم الذي سلبته.. مني..

الشخص: كيف؟ ماذا بوسعي ان افعل لكي..

الشيخ: أي شيء.. أي شيء! عليك ان تسليني حتى الصباح.. هيا.. هيا قبلما اغضب.. وافقد عقلي.. (يخرج كيس تبغ.. يلف سيجارة) هيا.. سليني..

الشخص: بماذا اسليك يا هذا؟ بماذا..؟ ارقص مثلا..؟

الشيخ: الرقص ينفعك وحدك. يجلب لك الدفء ويرهقك.. فتنام..

الشخص: اذن.. ؟

الشيخ: تكلم.. تحدث..

الشخص: عن.. عن.. أي شيء.. ؟

الشيخ: أي شيء .أي شيء.الموضوع غير مهم .ثرثر حسب.

الشخص: (بامتعاض) أثرثر.. ؟

الشيخ: ثرثر.الغ. أهذ. ارو حكايات اصنع اكاذيب .اسرد خرافات. الّف. احك. احك حسب.ها اراك ابتلعت لسانك الذرب قبل هنيهة ايقظت رمال الصحراء وامواتها بصرخاتك. فماذا جرى لك الان ؟

الشخص: انت.. اسمع.. يا هذا..

الشيخ: (ما يزال منهمكا في لف سيجارته)اسمع طبعا اسمع .وماذا طلبت غير ان اسمع جهاز السمع اقوى اجهزة جسمي المعطلة ولعله الوحيد الذي لم يصبه.العطب بعد. فعيناي كليلتان .لا اكاد ابصر ارنبة انفي اسناني تساقطت جميعا. ساقاي ينخر فيهما الروماتيزم.اما البقية فيكفي ان تعرف اني لم اعاشر امرأة منذ ثلاثين عاما. هيا.. هيا.. تكلم. فقد جئت لاسمع لا لكي اثرثر. ولكي اجلب لعيني النوم.. لا لكي اجعلك تنام .هيا.هيا لماذا خرست؟ هل نمت؟ نمت بعدما ايقظتني ؟ أ أ اقوم اجلب السوط واجعلك تنهق كالحمار في

الشخص: (بغضب) تأدب ياهذا.. اتعرف من انا..؟

الشيخ: (يقهقه) ومن تكون؟ الملك؟ الامير؟ من حاشية الملك؟ من خدم الامير

الشخص: بل.. انا..

الشيخ: كن من تكون .فانا غير معني بشخصك قلامة ظفر. وكل ما يهمني فيك هو حديثك.هل هو جذاب يجلب لي النوم الذي نحرته في عيني ام انه

ممل وسخيف.. لا يجذب ولا يشد.

الشخص: ما زلت تتمادى في سوء الادب

الشيخ: وماذا تتوقع من رجل هرم قتلت النوم في عينه واحلتــه قــذى واملاحــاً ستطفيء البقية الباقية من النور فيها؟ هه؟ماذا تتوقع؟

الشخص: يا الهي كيف السبيل الى مصالحتك؟

الشيخ: ان تعيد الي النوم.. ولا اقبل عنه بديلا..

الشخص: لو.. لو.. تلقي علي نظرة.. لو..

الشيخ: نظرة؟ في هذا الحندس وبعيني المنطفئتين؟ انت حقا بطران

الشخص: لكي.. لكي.. تعرف.. من انا..

الشيخ: وما قيمة ذلك.؟

الشخص: على العكس ذلك كفيل بتغيير الموقف كله.

الشيخ: ياه.. أنت تعطي لنفسك أهمية استثنائية حقا..

الشخص: انا.. انا كذلك فعلا.

الشيخ: مستحيل(ثم) ومع هذا تعال.. تعال. اقترب من فتحات القضبـــان دعنـــي أتلمس وجهك. انا لا افتح عيني الا بعدما تعيــد أليــهما النــوم الــذي سرقته.. يا.. يا لص.

الشخص: (بغضب) كف عن بذاءاتك يا هذا. وخاطب الناس بما يليق بمقاماتهم.

الشيخ: مهلا.. مهلا.. ما هذا؟ ما الذي يجري. ما هذه المفارقة العجيبة..؟ بـــانس بلا حول ولا قوة. ملقى كنفاية بشرية. تحت رحمتك.. و.. و.. يجـــرؤ على شتمك وتوجيه الاوامر اليك، كما لو كنــت عبــدا مــن عبيــده او خصيّا.. في قصر حريمه. ومحظياته. من انت.. يا هذا.. من انت؟

الشخص: انظر الي.. واعرف بنفسك.

الشيخ: (يخاطب نفسه) من هو؟ ترى من يكون يا سلطان يا بن عبد الملك ايكـون

احدهم؟ وحتى لو كان احدهم. فانه بعدما رموه هنا مذلا مهانا لم يعـــد احدهم فلماذا الخشية منه؟ بل.. بل لماذا هذه الوقاحة منه؟ مـــن ايـــن يستمد هذه القوة في مخاطبتك؟ لا بد ان في الامر إن.

الشخص: (يرتجف من البرد) هيا.. هيا.. تطلع الى.. انظر الى..

الشيخ: يا الهي!! انه ما يزال يأمر.

الشخص: هيا.. هيا؟.. والا ندمت طيلة حياتك؟

الشيخ: بل بل يتهدد ويتوعد. تنازل يا سلطان وتصدق بنظرة على هـــذا الدعـــي الذي يرغي يزيد ويعجعج كأرملة عجوز تطحن الريح..

الشخص: واخيرا..

الشيخ: (يضع سيجارته بين شفتيه دون ان يشعلها ينهض) تعال. اقترب اقـــترب. اقترب اكثر (يتلمس وجهه من خلال فتحات القضبان) وجه كوجـــه أي مخلوق سوى انه ناعم وترف بالرغم من ان البرد يكاد يغطيـــه بقنـــاع من الصقيع.. اتحسس فيه اثار النعمة والتغذية الجيدة.

الشخص: آمل ان تكون قد عرفت من انا.

الشيخ: انت.. انت.. شاب دون الثلاثين.. يكاد البرد يمتص ليونتك وطراوتك.

الشخص: (يرتعد تصطك اسنانه) المهم.. هل تعرفت على؟

الشيخ: في هذا الظلام لا استطيع التعرف على اصابعي. لحظة.. معي علبة ثقاب.

الشخص: اشعل عودا قبل ان يجمد وجهي على هذه القضبان الصقيعية اللعينة.

الشيخ: الان.. الان. في النور تعيش الحقيقة وتعلن نفسها. في الظلام. تعشـــعش الاكاذيب وتدفن رأسها (يبحث عن علبة الثقاب في جيوبه) امـــا كـــان الافضل لك ان تظل معشعشا في الظلام.. دافنا رأسك.

الشخص: ستعرف ذلك بنفسك .واذ تعرف ارجو ان تكون رجلا ولا تبـــول على ملابسك

الشيخ: (بلا غضب).. نتحدث بلغة الملوك. ممن استعرت. او سرقت هذه اللغة؟
الشخص: (بقوة) هي، لغتي، وانا ملك.
الشيخ: ملك؟ ها ها ها ملك وملفوظ هنا كآبة نواة؟ (يشعل عودا .ولكـــن تطفئــه الريح) الريح متواطئة معك.. تتستر على حقيقتك..
الشخص: لا ترتجف. اشعل عودا آخر .تر الحقيقة تعلن نفسها ،في النور..
الشيخ: تتكلم بثقة غريبة .ياهذا..؟ (تسقط العلبة من يده) كل الدنيا تتكاتف معك.. ها قد سقطت العلبة .كيف اعثر عليها في هـــذه العتمـــة؟ ارجـــو ان لا تكون الرياح قد قذفتها بعيدا
الشخص: ابحث عنها بلا خوف.. تجدها.. قد تكون بين قدميك.
الشيخ: صدقت. وجدتها (يشعل عودا .يغطيه بكفيه .يقربه من وجـــه الشـــخص) مستحيل .لا يمكن (يرتجف. يسقط العود وينطفيء)
الشخص: قلت لك .لا تخف ولا ترتجف..
الشيخ: (يشعل اخر بارتباك شديد) س.. سيدي.. الا.. الامير..؟
الشخص: قلها بصوت شجاع.. لا بصوت مرتعد.. سيدك الامير..
الشيخ: لا.. لا لايمكن.. أ انها خدعة انها.. (ينطفيء عود الثقاب)
الشخص: تقدم مني ثابت الجنان وامعن النظر في وجهي .لابد ان تكون قد رأيتني في مناسبة ما.. او طالعت صورتي في مكان.. ما..
الشيخ: احلم.. لاشك.. اني احلم.. (يشعل عودا اخر) و.. ولكنه هـــو.. اقصـــد.. اقصد.. انت هو.. هل يمكن؟ هل اصدق..؟
الشخص: هل عرفتني الان؟
الشيخ: ا.. ا.. ا.. اجل يا سيدي.. اجل.
الشخص: لست كاذبا.. ولا مدعيا.. ولا..
الشيخ: (بخوف) اشهد ان لا . ياسيدي.

الشخص: (باحساس بالانتصار) وهل تاكدت بنفسك.. اني امير البلاد.

الشيخ: كل التاكيد.. يا مولاي.. كل التاكيد.

الشخص: (مهاجما) واذن..

الشيخ: (مترددا) و.. واذن ماذا؟

الشخص: اما تخشى عقابي وانتقامي.. ؟

الشيخ: مــ.. مــ.. ممن.. يا سيدي.

الشخص: منك.. ومن كل من سبب لي هذه المسخرة

الشيخ: لا يد لي فيما.. جرى لك.

الشخص: حقا؟ لماذا اذن ترتعد فرائصك..

الشيخ: (مستردا تماسكه) انت واهم يا سيدي (يشعل سيجارته)

الشخص: بل انت..

الشيخ: لم ابل على ملابسي.. ان كان هذا قصدك.. انها ما تزال يابسة.

الشخص: (ساخرا) من يدري..

الشيخ: (باستهانة) اتريد ان تتاكد بنفسك.. ان تتحسسها بيدك.؟

الشخص: شجاع.. انت رجل شجاع.. اعترف بذلك.

الشيخ: قد لا اكون كذلك. ولكن لا احد يحسب حسابا لاسد مقلوع المخالب والانياب. ملقى به خلف القضبان .ناهيك عن امير مخلوع. مقلوع الاظافر والقواطع .منزوع الجاه والسلطان.. و.. داعا..

الشخص: (باستهزاء) اما تريد ان اعيد لك النوم الذي سرقته من عينيك؟ هل تنازلت عنه..؟

الشيخ: لو اعاد الملوك، بعض ما سرقوا ويسرقون، لما ظلوا ملوكا..

الشخص: كم سليط هو لسانك.!

الشيخ: مادام في مأمن.. فهو حر ان يكون كيفما يشاء.

الشخص: ليس طويلا.. سيقطع ذات يوم.

الشيخ: (يضحك) ان فكين خاليين من الاسنان لا يقطعان شيئا.

الشخص: لو لم اكن في هذا الحال.. لكافأتك على جرأتك.

الشيخ: (يقهقه باستخفاف) لو لم تكن بهذه الحال.. لما قلت ما تقول.

الشخص: سيء النوايا.. انت رجل.. سيء النوايا.

الشيخ: كثيرا ما تكون الطيبة والنوايا الحسنة.. ضربا من الغباء.

الشخص: وحكيم ايضا.. شيخ حكيم.

الشيخ: لن يخدعني.. اطراؤك.

الشخص: لا اروم خداعك قط صدقني. فانت بكلك.. هكذا نغمة جديدة على اذني. تشدني اليك بقوة. لانها مختلفة تماما عما اعتدت سماعها من نغمات متشابهة حد التطابق.

الشيخ: مادام القدر قد ساقك هنا .فستسمع وترى ايضا امورا كثيرة تختلف عما كنت ترى وتسمع هناك. (يتحرك مغادرا .ينفث دخان سيجارته)

الشخص: أ.. أ.. ايمكن ان اتوجه اليك برجاء .؟

الشيخ: (توقف) رجاء؟ الي؟ قبل هنيهة كنت تهدد وتتوعد بافتراسي وقطع لساني.. سبحان مغير الاحوال.. ما اغرب طبائع الملوك (له) تفضل

الشخص: أ.. أ.. أتتكرم على بغطاء.. يقيني شر هذا البرد..

الشيخ: (مبتعدا) سابحث لك.. عما يدثرك.. (يختفي)

الشخص: (باحساس بالتفوق) ذلك هو الطريق اليه، الكلام الطيب. المعسول وحتى الرجاء والتوسل.. لعلي.. اقنعه باخراجي من هذا الجحيم (يهرول في مكانه طلبا للدفء) الجليدي.. لا بد من كسب وده.. باي ثمن.. انه.. انه وبالرغم من كل بذاءته.. رجل طيب. سرعان ما أستجاب لي.. وراح.. يأتيني بما يدثرني.. ربما مخالفا حتى تعليمات

رؤوسانه والتزاماته.. والطيبة كما يقول هو نفسه ضرب من السذاجة والغفلة.. (يتوقف) لو.. لو.. اتمكن من جذبه قريبا من القضبان في متناول يدي.. ثم.. ثم.. الف ذراعي حول عنقه .ادق له عنقه.. انه عجوز طاعن في السن.. رخو العظام جوفاؤها، يكفي ان.. اضغط على رقبته فافصل راسه عن جسمه، واخطف منه المفتاح.. و.. (يتوقف) لا بد من خروجي من هنا.. باي ثمن.. بأي طريقة.. كل الطرق.. مشروعة.. مادامت تحقق لي هدفي.. و.. ولكن.. يا ترى.. هل اتمكن منه..؟ انه بالرغم من كبر سنه. يبدو صعبا، وليس التغلب عليه ولا خداعه.. بالامر.. السهل.. الميسور. اه كيف ؟ على ان احاول احاول واجرب.. (وقع اقدام الشيخ مقتربا. يظهر حاملا بطانية. وفانوسا زيتيا)

الشيخ: يحسبنا البعض بعضا من هذه الاحجار مشاعرنا متحجرة. احاسيسنا متحجرة.. قلوبنا متحجرة، ارواحنا متحجرة بيد إنا لسنا كذلك. او على الاقل لسنا كذلك.. دائما.. وعلى طول الخط. كما يقال.. (يضحك دونما سبب واضح.. يشرب من زجاجة صغيرة يخفيها بين طيات معطفه) خذ ياسيدي خذ.

الشخص: (يسحبها من بين فتحات القضبان. ثم يتفحصها.. يقلبها) اه.. كم انا ممتن لك ايها الشيخ الطيب الجليل.. ليباركك الرب

الشيخ: نظيفة يا سيدي .بالية وممزقة لكنها نظيفة. لا قمل بين طياتها ولا برغوث.

الشخص: قمل.. برغوث.. لا شك انك تمزح.. ان هذه المخلوقات.. قد انقرضت.

الشيخ: لا كائن حيا ينقرض .كل ما هناك انه يتخذ اشكالا اخرى. حسب. ويحيا تحت جلود واسماء.. جديدة..

الشخص: (يلتف بالبطانية) الان بوسعي ان اسامرك حتى الصباح، لو.. لو تقترب مني

الشيخ: اقترب؟ الي أي مدى؟ بالرغم من تلهف بعض الناس لمجالسة الملوك، جنبا الى جنب، بلا فواصل ولا حواجز، فاني افضل ان اترك بيني وبينهم مسافة!..

الشخص: او تخشاهم الى هذا الحد؟

الشيخ: بعضهم لا يخلو من الطيبة .ولكن اكثرهم نيران تحرق من يقترب منهم.

الشخص: اه.

الشيخ: لا تأس ولا تأسف. فانا اسمعك واراك وانت تسمعني وتراني وقد حدست ان ليلتنا ستطول. فوضعت اناء الشاي فوق النار..

الشخص: انت طيب.. وكم بودي ان.. ان.. اصافحك.. وحتى اقبلك، شاكرا..

الشيخ: تقبلني.. ؟ (يضحك)

الشخص: اعانقك على الاقل.. بدونك كانت ليلتي ستصبح ليلة في جهنم وقد.. ارسلك الله، ملاكا تؤنس لي وحشتي.. وتبدد وحدتي..

الشيخ: لم افعل ما يستوجب كل هذا.

الشخص: بل.. فعلت. فعلت ما يعجز لساني عن التعبير، ويحدوني امل اقوي انك تفعل الاكثر.

الشيخ: الاكثر (يضحك) كأن اخرجك من هنا..

الشخص: (مصعوقا) ها.؟ كيف..كـ... كـ..

الشيخ: لا تندهش.. لست قاريء افكار.. ولا كاشف نوايا.. كل من يحل هنا. يحلم.. او يامل..

الشخص: (يطلق اهة) اه..

الشيخ: الم تكن.. تحلم. او.. تأمل.. ان..

الشخص: ذلك ما الهمني الله سبحانه وتعالى. بيقين وضعه في صدري، بان حياة جديدة ستكتب لي على يديك . وتكتب لك على يدي.

الشيخ: (قهقهة) لعلك تحسبني رجلا خرفا. اضاعت السنون عقله. وبات طفلا. طائشا تخدعه بضع كلمات منمقة.. وبضعة وعود كاذبة..

الشخص: بل.. بل.. انت مبعوث العناية الالهية. وانك بعدما عرفتني ستقدم خدمة لبلادك، تخلدك الى الابد. وتكتب اسمك بحروف من نور.

الشيخ: الابد؟ الابد على مسافة خطوات وربما اشبار مني، قاب قوسين او ادنى.. وليته يحل الان وبلا خلود. ولا حروف من نور .او طين

الشخص: (ييأس) يعني؟

الشيخ: يعني ان خيالك قد جمح بك بعيدا .بعيدا جدا، اكثر مما ينبغي.

الشخص: تعسا لي.. ولخيالي.

الشيخ: خيال اليائس جموح دائما. مرة اوشكت على الغرق تعلقت، وانا في بؤس ويأس شديدين بقشة ،اشد بؤسا مني. ويأسا. متخيلا انها ستتحول، بقدرة قادر الى مركبة انقاذ عملاقة او حتى طائرة خرافية، تقلع من وسط المياه وتنقذني.

الشخص: وقد.. انقذتك فعلا.

الشيخ: انقذتني؟

الشخص: طبعا بدليل انك ما تزال على قيد الحياة..

الشيخ: لقد افقت من نومي.. كنت احلم يا سيدي.

الشخص: اتريد ان تقول اني، انا الاخر، احلم؟

الشيخ: اقوى الناس هم اولئك الذين لا يفقدون القدرة على الحلم، مهما ساءت حياتهم واحاطت بهم الظلمات.

الشخص: وما جدوى الحلم حين يعجز ان يستحيل واقعا.. او حتى يقترب من

الواقع.

الشيخ: جدواه.. انه.. انه يخلق واقعا بديلا ولو قصير العمر..

الشخص: توهمت.. انك لن ترد لي طلبا.. ولا تقول لا.

الشيخ: قد قلت لك يا سيدي خيال اليائس طائر.. بملايين الاجنحة..

الشخص: اذن.. فانت حقا تقول لا.

الشيخ: ذلك ما ينبغي ان اقوله.

الشخص: وحتى بعدما عرفت من انا.. حق المعرفة..

الشيخ: ولا سيما بعدما عرفت من انت. حق المعرفة.

الشخص: (بحدة) ويحك. اويجرؤ احد ان يقول لامير البلاد وولي عهدها.. لا.

الشيخ: (بهدوء) يجرؤ. مادام قد قال لمن هو اعلى من امير البلاد وولي عـــهدها نعم. من يقل للاعلى نعم.. لا بد ان يقول للادنى لا.

الشخص: الاعلى، الادنى، ماهذا الكلام؟ من الاعلى مني هنا

الشيخ: هنا..؟ لا احد.. ولكنه هناك.. (يشير بعيدا).

الشخص: (بنزق) من؟ من هو..

الشيخ: (بهدوء) مولاي.. صاحب الجلالة الملك.. المعظم..

الشخص: الملك؟ شقيقي؟

الشيخ: معاليك هنا.. بامر من عظمته.. شخصيا.

الشخص: مـــ.. مـــ.. متى جاءك المفدى.

الشيخ: بعد منتصف الليل بقليل.. اقصد انه.. ان عظمته..

الشخص: (بحدة) تكذب.

الشيخ: سامحك الله..

الشخص: الملك لا يغادر قصره. بعدما تغيب الشمس مهما كانت الاسباب..

الشيخ: صدقت ، سيدي، فهو لم ياتني بشخصه المعظم. انما جـــاءني امــر مــن

شخصه المعظم.

الشخص: و.. وماذا في الامر.. و.. و.. ماذا يقول

الشيخ: انه مقتضب جدا .شحيح جدا. مثل عطايا الملوك لمن لا يسودون (نبرة مغايرة) يمكث هذا الشخص، عندك بامر مني.

الشخص: ف.. فقط؟

الشيخ: بلا اية تفاصيل او شروح، شأن الهام والخاص جدا.. من اوامره دائما.

الشخص: (يردد) الشخص.. الشخص حسب.. بلا لقب بلا احترام؟ بلا ادنى تقدير؟

الشيخ: تلك هي التسمية التي يطلقونها على من ياتون به هنا. فهم، هناك، بعدما يجردون الانسان من مسؤولياته ومناصبه، ينزعون عنه القابه.. وصفاته الاخرى.

الشخص: و.. ويسمونه الشخص.. مجرد شخص (منتفضاً) اتقصد.. انهم.. قد..

الشيخ: عفوك سيدي. ليس من حقي ان اقصد أي شيء.

الشخص: (يحاول اقناع نفسه) انها لعبة.. لعبة سمجة.. منهم.. هناك..

الشيخ: هه.. عسى.. ولعل..

الشخص: بل هي كذلك.. اسمع ياهذا. انت في حلٍ من الامر كله.

الشيخ: (بسخرية) ومن يحلّني من تبعات الامر بعضه.

الشخص: (بحماس) انا.. انا.. احلك من مسؤولياته كلها.. ومن تبعاته برمتها..

الشيخ: (متهمكا) وهب الامير مالايملك.

الشخص: هيا.. هيا.. اخرجني.. وانا اجزل لك العطاء. بشكل لا تحلم به.

الشيخ: لا احسب الزمن سيعفني لنيل شيء منه..

الشخص: ها؟

الشيخ: ينقض على عقاب الملك، كما ينقض الصقر على عصفور مكسور الجناح.

الشخص: اقول.. انه يمزح.. الملك يمزح..

الشيخ: عملت في خدمة ملوك كثيرين. لم يحدث ان مزح واحد منهم.. معي.

الشخص: (بحدة) انه يمزح معي. معي انا. ماشأنك انت؟ هل تطالب الملك ان يمزح مع الرعاع؟.. من انت؟ من تكون حتى نطالب الملك بالمزاح معك

الشيخ: يا سبحان الله.. يامغير الاحوال.. قبل هنيهة كنت ملاكا هابطا من السماء.. ومبعوثا من العناية الالهية.. والان.. من اكون؟ من انا.. واحد من الرعاع.. حسب.. (بلا انفعال) طبائع الملوك. حقا طبائع الملوك.

الشخص: (بشيء من الارتباك) أ.. أ.. أنا..

الشيخ: انت ملك ياسيدي.. ومن نسل الملوك.. معذور.. ومغفور لك دائما..

الشخص: كلامك ينطوي على شكوك. لما اقول. بل. وتكذيب صارخ.. وانا لا اطيق احدا.. يشك في اقوالي أو.. أو و.. يكذبني.. اوحتى يخطئنني

الشيخ: اطمئن يا سيدي، فلا أحد بعد الليلة.. وربما بعد اللحظة، يكذبك او يخطئك..

الشخص: ماذا تقصد؟

الشيخ: لاشيء سيدي.. لاشيء (يهم بالمغادرة)

الشخص: بل تقصد. وتقصد شيئا خطيراً.. جدا.. لقد بدأت افهم لغتك.

الشيخ: لغة الرعاع لا يفهما الملوك.

الشخص: أنت تقصد. ان هذه الليلة هي الأخيرة من حياتي، ولن يتاح لي بعدها اللقاء بأحد.. ليكذبني أو يخطئني..

الشيخ: ما أحسبك الآن ،الا تتمنى من كل قلبك ان تكون مخطئا ، ان تكون قادرا على تكذيب نفسك، في استنتاجك.. وفهم قصدي.

الشخص: ولكن ذلك ما تقصد.. ما تقصد بالضبط. اليس ذلك ما تقوله

الشيخ: لك ان تفهم من كلامي ما تشاء ولكن ليس لك ان تفترض على لساني ما تشاء

الشخص: (يرى الشيخ يذهب).. لو.. لو.. تسمح لي.. بلحظة.. لحظة واحدة (الشيخ لا يستمع اليه، ولا يتوقف) لقد.. وعدتني بالشاي. انسيت.. ام لست ممن يحافظ على وعده..

الشيخ: اللعنة.. لقد نسيت.. ساتيك.. بالشاي.. سافي بوعدي (يذهب)

الشخص: لقد اسات اليه.. واخطات بحقه.. لا ينبغي لي ان انساق وراء غضبي واهدم ما انا ، بصدد بنائه.. اه. ما اغباني.. لقد قطعت شوطا جيدا في كسب مودته.. و.. وثقته ايضا.. ثم تهوري وتطرفي.. اه.. ارجو.. ان لا اكون قد.. قد.. (يقبل الشيخ حاملا عدة الشاي) ما تزال متجهم الوجه

الشيخ: تفضل سيدي. (يهم بالرجوع)

الشخص: لو. لو تسمعني لحظة.. اسمعني حسب.. انا. انا (لنفسه) اه.. لكم يشق على ذلك. ولكن لابد. لابد مما ليس منه بد.. انا.. انا.. اطلب منك العفو.. ايها الطيب.

الشيخ: (يتوقف) العفو مني؟

الشخص: لم يسبق لي لن طلبت عفوا من احد.. والان اطلبه منه.. ايها الطيب. اعذرني.. وافهم حالي.. ان وجودي هنا، في مكان لا ادري ماهو. لا اعلم أين هو.. ولسبب لا اعرف ما هو منبوذا. مرميا بأهمال. تحت رحمة البرد والوحشة، على هذا النحو القاسي، يحطم اعصابي يمسخني. يحيلني الى حيوان لا يعرف ماذا يفعل ولا ماذا يقول.. ف.. فمعذرة.. سيدي الكريم.. الف معذرة.. (يكاد يبكي).

الشيخ: كان الله في عونك.. سيدي. اعانك الله في محنتك.

الشخص: ستزول انا واثق انها ستزول.

الشيخ: ارجو ذلك.. من كل قلبي.

الشخص: مازلت لا تصدقني.. ان ذلك مؤلم حقا.

الشيخ: سيدي الكريم، لقد اعتدت منذ خمسين عاما الا اصدق سوى الملك نفسه وبامر من الملك نفسه.

الشخص: أأنت تعمل في خدمة الملك منذ خمسين عاما

الشيخ: في خدمة البلاط يا سيدي. فلا ملك ظل ملكا اكثر من بضعة اعوام.. اما البلاط.. فهو قائم منذ عشرات السنين.. الملوك يتغيرون والبلاط باق.

الشخص: شقيقي يخطط لمئات السنين.

الشيخ: ما كل ما يتمنى المرء يدركه (صمت) على اية حال، هو امن في عرينه المحصن. وما يزال في سنوات حكمه الاولى.

الشخص: من يضمن؟ (ثم) لا ضمان.. لاحد ولا امان، في هذا الزمن المجنون، المتقلب، الموار بالمفاجات.

الشيخ: (يشرب) دائما ثمة امواج اخرى تلطم الشطآن..

الشخص: الا.. قل لي ايها الشيخ الطيب.. من انت.. اعني.. اعني ما اسمك؟ ما عملك ؟

الشيخ: انا سلطان وعملي سجان.

الشخص: سلطان.. و..و.. سجان؟

الشيخ: ما الغرابة.. كل سلطان.. سجان..

الشخص: ها؟

الشيخ: سجان ومسجون في الوقت نفسه. ربما كان والدي، اذ سمّاني سلطان. يحلم ان اصبح سلطانا ذات يوم. سلطاناً حسب. ولم يدر بخلده اني

ساكون سجانا .سجانا حسب. او بالاحرى سجانا.. مسجونا بلا سلطة ولا سلطان.. ولا هم يحزنون.

الشخص: (يخاطب نفسه) اذن.. فانا في.. في السجن.

الشيخ: الم تكن تعرف؟

الشخص: حدست، حسب. لكني رحت اكذب حدسي. واخنق ظنوني وشكوكي (يعاين المكان متفحصا) لا اعرف في طول البلاد وعرضها. سجنا كهذا.

الشيخ: او يعرف مولاي.. سجون البلاد.. كل.. كلها.. ؟

الشخص: (ساهما) كلها. كلها. الظاهرة منها التي يعرفها الناس جميعا، والخفية منها، التي لا يعرفها احد. ولم يرها احد ومن شاء له سوء خظّه ان يراها شاء له سوء الحظ نفسه الا يعود منها.. ابدا..

الشيخ: (نبرة خاصة) ما عدا شخصكم الجليل.. كان الله في عونكم.

الشخص: لا تسيء فهمي يا هذا لست ربيب السجون وما شابه (بغرور) انا.. انا.. انا المسؤول عنها. وعن امن وسلامة المملكة ومواطنيها.. منذ عهد والدي المغفور له.

الشيخ: (بالنبرة نفسها) كان الله في عون المملكة ومواطنيها

الشخص: كلامك كثيرا الالتواء والمخابيء ها ؟

الشيخ: مسكينة مملكتنا.. فقد غدت مع مواطنينا.. وسلامتهم في مهب الريح..

الشخص: مؤقتا. مقامي هنا لن يطول. ان هي الا لحظات ويأتي شقيقي الملك نفسه. ويعتقني من هذا الكابوس معتذرا عن لعبته..

الشيخ: قادر ربك على كل شيء قدير. وهو وحده صانع المعجزات..

الشخص: ثمة شك.. يشوب كلامك..

الشيخ: استغفر الله.. لا يشكّ في قدرة القادر.. الا الكافر..

الشخص: (يتامل المكان) اجدني امام لغز. لغز حقيقي. لم ار هذا السجن الغريب ولم اسمع به.

الشيخ: انه من السجون الخاصة، الخاص الخاص، لا يعلم بها سوى الملوك و

الشخص: وهل انا من الرعاع والصعاليك؟

الشيخ: معاذ الله.. ان جدكم الاكبر. رحمه الله. لم يكشف سره الا لولده. والدكم الملك المغفور له. وهو لم يعطِ السر الا لصاحب الجلالة شقيقكم..

الشخص: ولمن يا ترى سيعطي السر هو الاخر .وهو لا ولد له ولا بنت.

الشيخ: (بسرعة وكحقيقة مسلم بها) لصاحبة الجلالة الملكة الشابة..

الشخص: (زاعقا) زوجته؟ ولكني انا ولي العهد والملك المقبل. وانا من ينبغي ان يعرف اسرار المملكة وخفاياها. لا تلك الغريبة عن شجرة العائلة.. وجسم المملكة وروحها

الشيخ: لا احد اولى باسرار الرجل اكثر من الانثى التي تشاركه الفراش والآهات والهمسات واللمسات التي تسيل معها الاسرار، لتستقر في.. في (يشرب) في.. في.. (اشارات ذات مغزى)

الشخص: عادت اشاراتك الخرساء.. تخنق كلامك الذي..

الشيخ: عفوك سيدي .انه لساني .قد اعتاد من فرط العزلة والغربة ترديد عبارات لا معنى لها ولا قصد وراءها .وداعا (يهم بالمغادرة)

الشخص: (بعتاب وتوسل) اتتركني لقسوة الوحدة. مرة اخرى؟

الشيخ: (نشوان) شرعت انامل الكرى الرقيقة تداعب اجفاني. لو لم استجب لها خاصمتني الليل كله مثل المراة الشبقة التي لا تستجيب لها. فتخاصمك العمر كله.

الشخص: جشعي يدفعني الى طلب المزيد من كرمك (يتوقف الشيخ) قدح اخر من الشاي ادفيء احشائي المتجمدة..

الشيخ: (يخض الاناء) ثمة قدر منه في الاناء.. ساسخنه لك

الشخص: (يتامل مكانه) اذا كان هذا السجن بهذا القدر من الاهمية والخطـــورة.. كيف يوكل امره الى شيخ متهدم مثله. لعله رجل غير عــادي.. (يعـود الشيخ باناء الشاي يقدمه له وهو يتثاءب) ما زلت تحت تاثير النعاس..

الشيخ: تصعب علي مقاومة الدعوة الى النوم في ليلة زمهريرية كهذه الليلة.

الشخص: قدح من هذا الشاي الساخن اللذيـــذ يمنحـك الـدفء والقـدرة علـــى المقاومة.. ايضا.

الشيخ: استمتع به وحدك يا سيدي. قدحي ملان وهو يمنحنـــي دفئــا اقــوى و.. مقاومة اضعف.. (يضحك)

الشخص: (متضرعا) ارجوك ايها الشيخ الطيب لا تدع شرنقة الوحدة تخنقنـــي.. الحديث معك يبعد عني المخاوف ويمنحني الشجاعة.. فــلا تبخــل بـــه علي..

الشيخ: حين كنت اطلب منك الحديث .كنت تلوذ بالصمت. والان.. ها ليكن (يعــود اليه مشفقا وهو يتثاءب) بوسعي ان اغفو وانا جالس (يجلـــس) هـــا.. عما نتحدث؟

الشخص: نتحدث.. نتحدث حسب.

الشيخ: ها؟

الشخص: نتحاور.. نتجادل.. نتناقش.. تتشافه.. نتلاسن.. نتكلم.. نتكلـــم فقــط.. ارجوك .ارجوك..

الشيخ: حسنا.. حسنا. ولكن ماذا نقول..

الشخص: أي شيء.. أي شيء.. يخطر على بالك .يخطر على بالي.. المـــهم ان تسمعني صوتك.. واسمع صوتي.. هيا.. هيا.. نتكلم اجل نتكلم هيا..

الشيخ: يا سيدي ليس الكلام امرا عسكريا. تصدره الى جندي. مـــن قبيــل ســـر

فيسير قف فيقف. اقتل فيقتل. ارم فيرمي. الكلام امر اخر. انـــه.. انـــه شيء ملتصق بالروح. وليس فعلا خارجيا نؤديه اعضاء خارجة منـــك. كالقدمين او اليدين. او حتى اللسان والشفتين.. الكلام فعل داخلي ينبثق من القلب

الشخص: ولكنك امرتني بالكلام. سبق وامرتني.. هل نسيت؟

الشيخ: (ببساطة) كنت اعاقبك.

الشخص: تعاقبني؟

الشيخ: لقد افسدت نومي فقررت معاقبتك.

الشخص: بـــ.. بـــ.. بالكلام؟ بالتكلم؟

الشيخ: صورة من صور العقاب .قد تكون اقساها وابشعها.. ان ترغم احدا علـــى كلام لا يريده. او ترغم على الاستماع الى كلام لا تحبه ولا تريده.

الشخص: اه.. في داخلك يختبيء جلاد.

الشيخ: جلاد؟

الشخص: انا الذي كنت احسبك حكيما..

الشيخ: وما العجب.. لا احسبني مختلفا عن سواي.. داخل كل واحد منا يحيا جلاد وحكيم.. ها انت نفسك تجلدني اذ تطلب مني ان..

الشخص: انا.. لا اريد الكلام عقابا لاحد.

الشيخ: تريده متعة لنفسك. لغرض ما في نفسك. وهنا يكمن العقاب الذي تنزلـــه بالاخرين، دونما تعلم او حتى تقصد

الشخص: كل ما ابغيه ان اعطل دماغي ان اوقف عقلـــي. ان اعتقـــل خيـــالي.. ان.. ان الغي ذلك الشيء الذي لا اعرف ما هو. الذي يضع الوســـاوس والاوهام. حين اشغل نفسي بالكلام امتنع عن تذكر الحقائق والوقـــائع.. اقطع كل الوشائج بالماضي.. بالمستقبل.. وابقى في الان، في اللحظة..

الشيخ: الان، اللحظة، سرعان ما يصبحان ماضيا.

الشخص: ولهذا السبب لا اريد ان انقطع عن الكلام والاستماع الى الكلام.

الشيخ: ولكن الكلام ليس قرقعة آلية. وانت نفسك ليس آلـــة.. تظـل تقرقـــع او تستمع الى القرقعة..

الشخص: اريد ان اتكلم.. اريد ان استمع.. الصمت يرعبني.. يجرني الى متاهــات ماضٍ. كل ما فيه الم. وحسرة وندم على اشياء فعلتها كــان ينبغـــي الا افعلها. وعلى اشياء لم افعلها.. كان ينبغي أن افعلها الصمت يقذف بـي الى مستقبل مجهول يحرقني في اتونه.. اه.. اه.. ساعدني.. ســاعدني ايها الشيخ الجليل.

الشيخ: وماذا بوسعي ان افعل .؟

الشخص: ابقني في الان. فالان.بالرغم من كل ما فيه من قسوة وما يحبل به مـــن مجهول اشد قسوة، فيه بارقة امل.. فيه شـــعاع شـــمس.فيـــه انســان يسامرني، يصدقني القول بلا خوف ولا نفاق بلا طمع ولا جشع بلا ثـأر ولا انتقام.. هيا.. هيا تحدث ايها الشيخ الطيب اردم المـــاضي.. اقتـــل المستقبل. حنطّني في الان، حنطً فـــي الان.لا تدعـــه يفلـــت منـــي.. لا تدعني افلت منه..

الشيخ: (بعجز) يالهي .ان ماتطلبه هو المستحيل هو العقاب الاقسى والامر..

الشخص: لا .العقاب لا.ارجوك. كل شعرة في جسمي ترتعد مـــن هـــذه الكلمـــة.. تحدث ايها الطيب.. تحدث.. ارجوك.. اتوسل اليك.. ان روحي تنفذ مـن مسامات جلدي.. وحديثك وحده القادر على ابقائها بين جنباتي

الشيخ: لا حول ولا قوة الا بالله (يضرب كفا بكف. بيأس وشفقه) عما اتحدث عما اتكلم.. يالهي هـــ.. هل نتحدث عنك.. عن شقيقك المفدى الذي..

الشخص: (ملدوغا) لا.. لا. ما يخص العائلة، ينبغي ان يظل داخل العائلـــة. تلـــك

وصية جدي الاكبر. نقلا عن جده الاكبر. واذا كان هؤلاء قد خرقوهـــا.. وخرجوا عليها، فانى لن افعل مهما كـــان اســتياني منـــهم وغضبـــي عليهم..

الشيخ: (باستهزاء) وفي.. الوفاء لاناس لا يستحقون الوفاء.. عين الغباء

الشخص: (بانفعال) ليكن حديثنا في موضوع اخر.. بعيد.. بعيد. لا يمس العائلـــة بتاتا.

الشيخ: مثلا..؟

الشخص: مثلا؟ (يتوقف) الامثلة كثيرة.. انت ادرى بها.. ليكن حديثنا عن.. عـــن هذا السجن.

الشيخ: هذا السجن؟ سجن العائلة؟

الشخص: يفرض نفسه علي بقوة الف شيطان، يهيمن على كل جزيئة في تفكيري يسلبني من نفسي. متى تم بناؤه؟ ولماذا؟ لاي غرض؟. ومن ضحاياه؟. والاهم.. كيف لم ادر به؟. انا المسؤول عن السجون والمعتقلات كافة..

الشيخ: اما متى تم بناؤه.. فعلم ذلك عند ربي والراسخين في العلم. اذ انـــا حيـــن ولدت وجدته قائما. لعله بنى قبلما اولد. ابي كان الحارس ،ثم حدث لـــه ما يحدث للاحياء.. فورثته عنه.

الشخص: ورثته عنه؟

الشيخ: ابناء الملوك يرثون العروش.. والجاه والسلطة. فـــي الدنيـــا والاخـــرة. وابناء الفقراء يرثون السجون.. اما كنزلاء مقيمين. او كخدم دائميين.

الشخص: الامر الذي يذبحني من الوريد الى الوريد. كيف لم ادر به. لمـــاذا لـــم يحدثني احد عنه.. لماذا.. لماذا..

الشيخ: ربما اقول.. ربما، لانه مخصص لاقامة المقربين من الملك (يشرب)

الشخص: مثلي؟

الشيخ: مثلك. مثل غيرك. ممن يحومون حول نيران العرش. مثلما تحوم الفراشة حول نار الشمعة.

الشخص: نيران العرش ونار الشمعة!! شتان ما بينهما. الثانية ارأف بالفراشة واكثر شفقة.

الشيخ: ولكن الاولى اشد جذبا. لاسيما لمن هم في مناطق الجذب الشديد، الاباء الابناء، الاشقاء، ممن ينافسون الكواكب والنجوم في موضع قدم او مقعد في النظام الفلكي السماوي الالهي، الممنوح لهم من السماء (يشرب) هبة ازلية.

الشخص: بل يسطون ويغتصبون حق غيرهم.

الشيخ: (مستمرا) وهم في سباقهم الدموي ذاك يسحقون ما يسحقون ويدوسون من يدوسون. فيخربون نظام الافلاك الموروث. فينالهم غضب السماء الذي يعكسه الملك، حامي حمى السماء والارض عقابا حسبما يروق له.

الشخص: انا لم افعل ما يغير نظام الافلاك الخرافي الذي تتحدث عنه.. فانا الوريث الشرعي للعرش.. بعدما..

الشيخ: (وقد شرع ينتشي) بعدما يغيب الملك الشرعي الحالي في يوم من الايام. بشكل من الاشكال (يشرب) ولأجل وأد ذلك اليوم. ودفن من يفكر باستقدامه. حفر هذا القبر .(يشرب)

الشخص: القبر؟

الشيخ: السجن، بديله. وايضا لأجل الابقاء على مسيرة العرش بلا انحراف ولا خروج عن السكة الحديد الموضوعة لها. (نال منه السكر بلهجة خاصة) إلى الامام. لا يمين.. لا يسار.. الامام حسب.

الشخص: (باستهانة) وهذا السجن، ينهض بهذه المهمة الخطيرة؟

الشيخ: هذا السجن اداة من مجموعة هائلة من الادوات. انه كابح قـــوي جـــدا.. يمنع الخروج من الطريق المرسوم. بنفس القوة التي يمنع الدخول الـى الطريق المرسوم.

الشخص: كل هذه المهام وحارس لا يقوى على طرد ذبابة..

الشيخ: ليس الحارس هو هذا الماثل امامك. فثمة حراس عديدون. لا يحصون..

الشخص: لا ارى سواك..

الشيخ: انهم غير مرئيين. أو بالاحرى تراهم ولا تحسبهم حراسا. وهنـــا تكمـــن قوتهم السحرية. وطاقتهم الخرافية في الفتك والبطش.

الشخص: لغز ؟ لغز اخر؟ من الغازكم اللعينة.

الشيخ: ثمة الصحراء التي تحيط بالسجن. احاطة مياه البحر بالقـــارب الصغـــير. وثمة الرمال المتحركة التي تبتلع الفيلة والجمال. وثمة الضواري التـــي تفترس نفسها ان لم تجد من تفترس. وثمة الســـر الرهيـــب (يشـــرب) الذي لا يعرفه سوى جلالة الملك. وهذا العجوز الذي لا يقوى على طرد ذبابة.

الشخص: السر؟ أي سر؟

الشيخ: لا.. لا. اذ اكشفه لك، لا يعود سرا ولا رهيبا .ولا هم يحزنون.

الشخص: اسمع. لقد سئمت كل هذا اللغو الفارغ والثرثرة اللامجدية وقد..

الشيخ: سئمت؟ بهذه السرعة؟ وكنت قبل هنيه. تلهث وتشحذ المزيد منها ؟

الشخص: سئمت. مللت. طفح بي. وسوف اختنق. اخرجني من هنـــا.. اخرجنـــي حالا..

الشيخ: الى اين يا سيدي؟ هلا سالت نفسك الى اين..

الشخص: الى صحرائك القاتلة، الى ضواريك الفتاكة، الـــى الجحيـــم.. اخرجنـــي حسب اخرجني قبلما تخرج روحي من بدني الذي شرع يتفتت.

الشيخ: (بهدوء لا يتناسب مع انفعال المقابل) الشاي.. شايك برد يا سيدي.

الشخص: (محتدا اكثر) اتسخر مني ياهذا؟ اخرجني.. انا امرك ولابد ان تطيع امري..

الشيخ: ما من سجان نصف عاقل يطيع امر سجين.

الشخص: لست سجينا افهمني انا ضحية من ضحايا مزاج الملك.

الشيخ: كل المسجونين وثلاثة ارباع البشر هم من ضحايا الملوك وامزجتهم الزئبقية.

الشخص: ياالهي كيف السبيل الى اقناع هذا الحجر الماثل امامي ان الامر عني مختلف.

الشيخ: الشخصان اللذان حملاك الي ملفوفا برداء اسود مغمى عليك او مستغرقا في النوم. او مخدرا. كجثة بلا حراك، لم يمنحاك أي امتياز..

الشخص: (باهتمام) شخصان؟ اكانا اثنين؟ من هما؟ هل تعرفت اليهما...

الشيخ: كانا قطعة من الليل الحالك. ملبسين بالسواد من قمة الراس حتى اخمص القدمين (يشرب).. ربما كانا رجلين.. او امراتين.. او كان احدهما رجلا. وكان الاخر امراة. او.. او.. لم يكونا.. لا رجلين ولا امراتين..

الشخص: ويحك وماذا يمكن ان يكونا في هذه الحالة؟

الشيخ: كانا مخلوقين مجرد مخلوقين يدبان على اثنتين. دب.. دب. دووب. دووب

الشخص: وصوتهما ؟ اعني نبراتهما الم تكشف عن حقيقهما؟.

الشيخ: كانت تكشف لو نطقا. ولكنهما كانا صامتين. كانهما حجران اسودان متحركان .او صخرتان سوداوان متحركتان. او حجر وصخرة المهم لا نأمة ولاهمسة

الشخص: وتطيع مخلوقين نكرتين. لا تعرف حقيقتهما . ولم تسمع حتى صوتهما

وتعصى امري.. وانا امير البلاد. وسيدها القادم.

الشيخ: انا اطيع الامر الذي حملاه الي .وهو امر صريح مزين بتوقيـــع جلالتـــه وختم بلاطه. اللذين قد اشك في كفي هاتين ولا اشك فيهما.

الشخص: اه.. يا الهي. لماذا يفعل بي اخي كل هذا ؟ لو اعرف. لو اعرف حسب.

الشيخ: لعلك عارضته في امر او خالفته في راي.. او

الشخص: على العكس كنا دائما في احسن حال واتم وفاق. كل ليلة قبلما اوي الى منامي. وكل صباح قبلما اغادر اقدم له طقوس الطاعة. اجدد لجلالتـــه الولاء والعهد واقسم بين يديه اغلظ الايمان. باني طوع بنانـــه ورهـــن اشارته. لن اخون الامانة .ولا اضمر له شرا. ولا انـــوي بـــه غـــدرا. مادمت حيا..

الشيخ: طبائع ملوك. ماذا بوسعي ان اقول غير ذلـــك.. (يشـــرب) وهـــي غالبـــا ماتكون حبلى بالوساوس.. والتوجسات والمخاوف..

الشخص: (كمن يكلم نفسه) لاسيما حين يقع احدهم اسير زوجته. ويصبح لعبـــة بيدها.

الشيخ: لا احسبك تقصد سيدي الملك.

الشخص: بل اقصده. اقصده هو بالذات. فمنذ ان اقترن بها بات يرتاب فـــي كـــل شخص في كل شيء. حتى أقرب المقربين اليه. اجزم انها هي نفســـها وراء هذه اللعبة المقيتة.

الشيخ: اراك مصرا على تسميتها باللعبة.

الشخص: وماذا اسمي هذه الحالة الشاذة التي اوقعوني فيها. لا اجد لـــها اســـما آخر..

الشيخ: مادمت موقنا ان ثمة امرأة وراءها. فلا بد ان تجد او تخترع لـــها اســـما آخر (يشرب) سمها.. (يفكر) مكيدة. مثلا. فالمراة نادرا ما تلعب.

الشخص: حقا. وكثيرا ما تكيد. نفس ما اشيع حين وفاة جلالة الملكـــة الوالـــدة. لمجرد انها عارضت زواجه منها. مـــع انـــها فـــي النهايـــة رضخـــت واستكانت. ولكنها لم تغفر لها.

الشيخ: استغفر الله العظيم.. انا لا اقصد شينا من هذا القبيل.. ياسيدي..

الشخص: (نبرة خاصة) وها.. قد حان دوري..

الشيخ: انت؟ اعني..اعني سموكم الكريم..

الشخص: لاني رايت ان مصلحة الاسرة والمملكة تقتضي ان اقف الى جانب أمي.

الشيخ: ارجوك سيدي الامير. لا تستولد ثرثرة جوفاء يطلقها لسان سانب كل هـذه الكوارث والمصائب. القليل القليل منها كاف ان يلغي وجودي

الشخص: لقد ابصرتني بحقيقة كانت غائبة عني.. او.. او اخشـــى بمواجهتـــها. وهب اني عارضته. او اختلفت معه. فهو اختلاف عائلي. داخل الاســـرة الواحدة الموحدة المتماسكة. لا يستوجب نبذي بهذه الصورة المزرية..

الشيخ: هم كهذا، لا يجدون غير السجون منتجعا لمن تختلفون معـــهم ويقلقـــون راحتهم. وهم يختلفون مع اقرب الناس اليهم. وان لم يجدوهـــم فمـــع انفسهم(يشرب) ملوك. هم ملوك. وليسوا مثلنا. نحن عامة الناس..

الشخص: وانتم، عامة الناس. الا تختلفون فيما بينكم.

الشيخ: نختلف. ولكن سرعان ما نعود نتصالح. بلا عقوبات ولا سجون ولا هـــم يحزنون.

الشخص: ما اسعدكم. انا اغبطكم على حالكم هذه. اه.. ليتنا كنا مثلكم.

الشيخ: مثلنا.. نحن.

الشخص: انتم اسعد الناس. مادمتم لا تملكون سجونا ولا معتقلات.

الشيخ: تلك مضايف الملوك ومن يقتدون بهم.. يســـتضيفون فيـــها خصومـــهم. واعدائهم.

الشخص: خصومهم. اجل. اعدائهم. اجل. لا اشقاؤهم وابناء امهاتهم وابائهم.

الشيخ: لا ثوابت عند الملوك. الا مصالحم. ما اسرع مايغدو الاشقاء وحتى الاباء والابناء خصوما واعداء. ويغدو الخصوم والاعداء. اقرب اليهم من الامهات والاباء. وقد تعود المياه الى مجاريها ويعود الاقرباء الى مرابعهم. مثلما كانوا.

الشخص: (برجاء وامل) حقا؟ حقا يعودون كما كانوا..

الشيخ: اذا غفر لهم الملك. اوهبت عليه عاصفة ورمته خارج جاذبية كرسي العرش.

الشخص: واذا لم يحدث. لا هذا ولا ذاك هل يرسلهم الى.. إلى المقصلة؟

الشيخ: او يرسل اليهم.. المقصلة.

الشخص: (برعب) هه ه.. هه ه:.هنا.. في السجن؟

الشيخ: ليست المقصلة الشكل الوحيد. ولا الرداء الاوحد. للموت حين يتقرر.

الشخص: (يعقد الخوف لسانه) ها.. ها.. ها..

الشيخ: للموت الذي يقرره الملوك، اردية وازياء واشكال وهيئات بعدد شعر الرأس. ولا يرتدي ايا منها الا لمرة واحدة، ولثانية واحدة.. او اقل، على قدر زمن المهمة حسب. فتخيل..

الشخص: اللهم.. رحمتك!!

الشيخ: قد يختفي في ثنايا اكلة شهية. تقدم بعد جوع وحشي. او يذوب في شراب زلال يقدم بعد ظمأ قاتل. او يرتدي زي زوجة وفية. او يتخذ هيئة..صديق مخلص. او ام شفوق.. او اب حنون.. او..او..انه مهووس بالتلون والتنوع، وفق مقتضيات الزمان. ومبتكرات العصر التكنيكية. ومستجداتها ومراعاة. طقوس الزيارة وحالاتها.

الشخص: اذن.. يستحيل التعرف عليه.. او حتى الحدس به..

الشيخ: لكي يستحيل تجنب زيارته..

الشخص: ياله من بغيض.. ما اشد ما أبغضه.

الشيخ: هو لا يحفل بمشاعر من يزوره. سيّان عنده ان استقبلته بحفاوة. او قطبت له وجهك وادرت له ظهرك. انه موظف مسلكي مثالي، بارد حتى النخاع مثل جامعي الضرائب والتبرعات الاجبارية (ثم) من الخير لك ان ننام بعض الوقت..سيدي..

الشخص: بعد كل هذا الحديث المرعب عن ذلك البغيض الذي لا اجرؤ على ذكره، وعن ازيائه وأحابيله. ومكره وخداعه.. اتحسبني قادرا.. على اغماض عيني. ترى الا يرتدي زي النوم.. مثلا..

الشيخ: يرتدي. ويرتدي زي اليقظة ايضا. الا انه خلال النوم، يكون اكثر رقة.. ونعومة. واخف ظلا.. اذ لا يطيل زيارته كثيرا. زيارة خاطفة.. حسب.

الشخص: تتحدث عنه كما لو كان هرا اليفا.. الا تخافه؟.

الشيخ: في الايام الاولى، كنت ارتعد خوفا، اذ اراه. اقصد اذ ارى الآثار التي ..يخلفها عقب كل زيارة. جسد مخنوق. او مطعون، او مسموم، او مقطع.. الاوصال.. او..او..اما هو نفسه، فلا يمكن لاحد ان يراه او يتحدث عن رؤيته له. ثم، على اية حال. ان مهمتي تقتصر على الاخبار عن آثار الزيارة وانكار الزياة نفسها.

الشخص: بالرغم من يقينك بوقوعها..

الشيخ: تجنبا لوقوعها علي. فانا بالرغم من كل شيء. ما زلت احب الحياة، واتعلق باذيالها.. واخشى ذلك البغيض.. كما تدعوه.. انت..

الشخص: مع انك تعاشره منذ زمن طويل.

الشيخ: اعاشره؟ ومنذ زمن طويل؟؟ ها ها ها ..اتق الله يارجل. لو عاشرته لحظة واحدة، لما كنت تراني امامك. هو يعاشر الاخرين.. وهم ليسوا

انا.. بكل تاكيد. ها ها ها (يغمره.. احساس بالنشوة..يشرب.. يغني)

حين يكون هو موجودا،
اكون انا غير موجود.
واذ اكون انا موجودا،
يكون هو غير موجود.

(يسعل) عفوا.. سيدي. فصوتي أحش.. واداني سيء(يسعل) انها حكمة قديمة، قراتها منذ زمن بعيد.. او.. او.. ربما قد سمعتها من شخص ما. في مكان ما. من؟ ..أين؟ لا ادري. لا اتذكر. ذاكرتي لم تعد تحفظ شيئا.. الا بمقدار ما يحفظ الغربال الماء.(يسعل) انه الزمن.. الزمن اللعين التعس الذي افقدني كل شيء..(يشرب) المهم انها تعجبني.. ويحلو لي ان ارددها بين الحين والحين(يسعل) و.. واغنها.. حين.. حين(اشارة تناول الشراب) تغمرني النشوة(ثم فجأة) احسبتني قد اطلت.. وأن لي ان اقول.. لسموك.. وداعا..ف... ف... وداعا!!

الشخص: كنت ارجو ان تقول.. الى اللقاء.
الشيخ: لم يقع لي لقاء مع نزيل غادرني.. قط.
الشخص: (بالم دفين) اه...
الشيخ: يؤسفني ان اضطر لفراقك(يسعل) لم يسبق ان تحدث الي نزيل بهذا القدر من الحميمية.(يسعل) اعتن بنفسك ياسيدي..
الشخص: (بحرارة) كي أليق بـ... بـ... بالبغيض. ولا اخيب امله. اذ يخصني.. باحدى زياراته السرية.. الثقيلة..

الشيخ: احدى زياراته؟(يضحك) هى زيارة واحدة(يسعل) لا..سابقة عليها.. لا تالية لها.. ها ها ها ولكنك تعجبني.. ياسيدي.. يعجبني الرجل.. محتفظا بروح التهكم.. رغم كل شيء..وفي احلك الظروف(يبتعد).

الشخص:(بسرعة) لو.. لو.. تتريث. يا.. يا..(الشيخ يتوقف. الشخص. يهم ان يقول شيئا.. ولكنه.. يتردد)أ..

الشيخ: انا.. انتظر.. سيدي الامير..

الشخص: (يحاول التغلب على تردده) كنت اود.. لو لو..(يعجز) لا لاشيء. لاشيء.. اذهب ولتصحبك السلامة.. ايها الرجل الطيب.

الشيخ(يهز رأسه بلا مبالاة) طبائع ملوك!(يواصل سيره مبتعدا)

الشخص:(بقلق واستعجال) بل.. بل ارجوك. تمهل. تمهل ارجوك(الشيخ يتوقف) هـ.. هـ.. هل لى ان اطلب منك شيـ.. شيـ.. شيئا..

الشيخ: (بلا تردد) تفضل.. سيدي

الشخص: أ أ أنا.. انا في الحقيقة.. اد.. يا الهي..لا اعرف كيف اقول.(يضرب القضبان براسه) لا اجرؤ ان.. ان..

الشيخ: قل سيدي الامير. ما عليك الا ان تقول.. وستجدني.. ان شاء الله.. في خدمتك. قدر ما استطيع (يسعل)

الشخص: أنا.. ايها الشيخ. جـ.. جـ.. جا..

الشيخ: (بسرعة) جائع؟

الشخص: بل. بل اتضور جوعا. هـ. هـ.. هل اجد عندك.. مايؤكل. حتى ولو كسرة خبز..

الشيخ: لدي عشاني. لم اتناوله بعد. ساقاسمك اياه(يذهب. يغني)

ان يجيء قبل صياح الديك موتي
ويفتح باب بيتي
سأناديه.. تمهل سيدي.
فعلى الارض خمور لم اذق اطيبها.
وذنوب جمة. لم اقترف اجملها.
فاذهب اليوم. وذرني لغد[1].

و.. واذا جاء في الغد، في الموعد المحدد؟ اه.. انـــها لكارثـــة(يضحـــك) ياالله!! ساعزف له اللحن نفسه. فيتركني ويرحل. وهكذا دواليك كل يـــوم الاسطوانة نفسها. واظل اضحك عليه. حتى يمل تماما.. ها ها هـــا هـــا (فجأة بنبرة باكية) ترى من يضحك على من؟ أ أنا اضحك عليـــه عليـــه؟ ام الموت يضحك عليَّ؟ ومن منا الذي يضحك اخيرا...

الشخص: خمور.. وذنوب.. و.. وضحك على الموت. بماذا يخرف هذا العجـــوز. أمجنون هو؟ مجنون ام فيلسوف...

الشيخ: (مقبلا باناء) تفضل سيدي. هذا كل ما استطيع تقديمه (يخطفه بسرعة)

الشخص: الا قل لي ايها الرجل الطاعن في السن. اتعاقر الــمر دائما(ياكل بنهم)

الشيخ: ليس قطعا. في وجبات الافطار.ها ها ها ها

الشخص: (يأكل) انت انسان ظريف حقا. لن انساك ابدا.

الشيخ: سيدي هل تسدي الي فضلا. لن انساه ما حييت؟

الشخص: اطلب ماتشاء ايها الطيب. وان شاء الله لن اخيب لك رجاءا.

الشيخ: انسني.

الشخص:(مصعوقا) ها؟

الشيخ: أنسني.. امحني من ذاكرتك تماما.. اول ماتغادرني.. ايا كانت وجهتك.

الشخص: (ضاحكا) حتى.. اذا ارتقبت العرش..

الشيخ: وخاصة.. اذا ارتقبت العرش.

الشخص: عجيب أمرك..! أ أنت جاد..

الشيخ: اسعد الناس واكثرهم امانا.. من يسقطون من ذاكرة الملوك..

الشخص: (مداعبا) ساتذكرك.. رغما عنك..

الشيخ: (بلا مبالاة) لا سلطان لي على الملوك.. (يبتعد.. يغني)

السادة الملوك.
((ينجرون خشب التابوت.
وانا هنا.. في الغربة
لا احيا ولا اموت..))[٢]

(ثم بايقاع خاص) مات الملك. عاش الملك..! ترى كم حياة تنطفيء. وكم موتا يورق.. اذ يموت الملك.. او يعيش الملك..(مبتعدا) مات، عاش. عاش، مات. مات، عاش. عاش، مات.. (صوته حسب) تذكرني، سيدي، اذ ترتقي النعش..

وانسني، يا مليكي، اذ تعتلي العرش..

(بالايقاع نفسه) عرش.. نعش.. عرش.. نعش.. مات. عاش...

الشخص: (وحده، مقادا نبرته) عرش.. نعش.. عرش.. نعش(ثم)ما.. الفرق؟ كلاهما موت. احدهما سريع عاجل. والاخر بطيء مؤجل.. لكنه ولكنه آت بلا ريب. اثر زيارة غادرة. لا قدرة على ردها. ولا سبيل إلى تجنبها. ولو تركوا لي الخيار لنبذتهما كليهما واخترت الحياة.(مفكرا) غدا اقول للمفدى خذها. خذ ولاية العهد. انا متنازل عنها. اعطها لمن تشاء.

اعطها لنفسك اعطها لزوجتك. اعطها. اعطها للشيطان. والوصية مزقـها (يحكم لف البطانية حول جسمه) فقط دعني اعش.. ابعد زيارة رسـولك اللعين عني. لا تدعه يتسلل الي في وقت لا اعرفه. فـي هيئـة لـم ار مثلها.. ولا عهد لي بها. متنكرا تحت اشد الاشـكال اغـراء وجاذبيـة. العرش.. ش ش. (يتكوم على نفسه) العرش النعش.. النعـش ش ش.. (ينام. تمر فترة مناسبة. موسيقى مختارة. تتسلل خيوط الفجـر. الامـير يشخر. وقع اقدام. يظهر الشيخ ثانية! يتبعه. او. بالاحرى. يسوقه اثنان، متلفعان بالسواد. من قمة الراس حتى اخمص القدمين. فتحتـان للعيـن. اخرى للشفتين. الثاني اعتيادي. ليس فيه ما يميزه، الاول قصـير. فـي حركاته ونبرات صوته. ليونة كانه انثى)

الاول: (يستعجل الشيخ. يدفعه) هيا. هيا.. أ أنت عذراء تـزف قسـرا. ام تـراك تخطو.. فوق الاشواك.؟

الشيخ: على مهلك. على مهلك. انه مرمي هناك، بلا حول ولا قوة.. لن يطـير.. فلم الاستعجال؟

الثاني: (في نبرات صوته) حشرجة. تدل على كبر عمره، قياسا الـى صاحبـه) لعلك تنتظر طلوع النهار.. هيا.. هيا.. اسرع..

الشيخ: لا بد ان اتأكد من توقيع البلاط. وختم الملك..

الثاني: نقصد توقيع الملك.. وختم البلاط.

الشيخ: لا فرق. لا فرق(يعرض الورقة امام ضوء الفـانوس) مضبـوط. ختمـه وتوقيعه. (ثم) بهذه السرعة ولم تمض عليه سوى ليلة..؟

الاول: (بحدة وترق) ليس هذا من شانك.. هه..

الشيخ: صدقت. شؤون الملوك من شؤون الملوك وحدهم.(ثم) لقد انسـت اليـه كثيرا. ترى اين تذهبان به الى العرش ام الى النعش..؟

الاول: انت كثير الفضول هه د. لا تدس انفك القبيح فيما لا يعنيك هه د..

الشيخ: انه فضول. مجرد فضول. لا ينفع ولا يضر.

الاول: هيا. هيا.. افتح الباب.. واغلق فمك الكبير..

الشيخ: (يتوقف) اغلقا فتحات عيونكما.. او اديرا ظهريكما.

الاول: ماهذا؟ امجنون انت.. كيف تجرؤ على اصدار الاوامر الينا؟

الشيخ: انها اوامر الملك.. دام ظله..

الاول: الملك..؟

الشيخ: المفتاح في موضع سري للغاية.. ولا ينبغي ان يطلع عليه احد..

الاول: ولكن المفدى..

الثاني: (يسد فاه بسرعة) لا تجادل. بذلك تقضي اوامر الملك.. امتثل لما يلمرك به الحارس الامين هذا.(يديران ظهريهما.)

الشيخ: (يتاكد انه لم يعد بوسعهما رؤيته. يغيب هنيهة.. يعود حاملا المفتاح يشرع بمعالجة فتح الباب.) كلهم هكذا.. يقضون عندي ليلة.. او بعض ليلة. ثم يتركونني للوحدة. والارق. و.. الخمر.

الثاني: هكذا تقتضي مشيئة الملك ورغبته. من يسأل الملك عن مشيئته او رغبته؟

الشيخ: رغبات الملوك مياه، تجري كما تشاء، تقذف الناس والاشياء، على هذه.. الضفة.. تارة.. وعلى تلك تارة اخرى.. ليت شعري.. على اية ضفة سوف يرسو هذا البائس.

الثاني: على الضفة التي حددها له الملك.. منذ زمن..

الشيخ: منذ زمن؟ منذ متى.. ياترى..؟

الاول: لو كنت مكانك. لرددت الى جوفي. هذه الاسئلة التي تفوح بالشك والريبة(يضربه) هيا.. هيا.. قبلما تشرق الشمس..

الشيخ: (يتالم) اخ. (يتماسك) انت يارسول الملك المخنث، تمتلك موهلات فــــذة.. ستطلع بك ذات يوم الى.. العرش.

الاول: وانت ايها العجوز الخرف. تملك في جوف فمك حبلا يتدلى، لا لسانا مـــن لحم ودم. وقياد وزمام.. ينبغي أن تحرص عليه.

الشيخ: الزمن. الزمن واحداثه وتقلباته، جعله خرقة بلا فائدة(يدفع الباب).. هـــذا هو.. خذاه. حيث امروكما..

الاول: (منتفضا) امرونا؟

الثاني: نائم. انه نائم.

الاول: نائم؟ ام يتظاهر بالنوم.

الشيخ: بل نائم فعلا. دعاه يستمتع بنومه بعض الوقت.

الثاني: اراك.. متعاطفا معه..

الاول: لعله واحد من مريديه

الشيخ: عملي يقتضي ان الغي قلبي. او.. او اطفيء نيران عواطفه. ولا اتعـــاطف مع من يلقى به عندي

الاول: اذن لماذا تحرص على راحته ونومه..

الشيخ: لان من يتنازعه العرش والنعش. لا يقتنص هنيهة نوم الا بشق الانفس.

الاول: (بطيش وعدوانية) اخرس ياهذا. اخرس. ابلع لسانك المـــهذار هــذا(يـــهم بصفعه. يمنعه الثاني..)

الشيخ: (يعجز) ساخرس. يتوجب علي ان اخرس(يعقد يديه خلف ظهره يبتعد)

الثاني: الى.. اين.

الشيخ: الى حيث اخرس.. في النوم فقط، يتحقق الامان. إذ يخرس كل مــــا فـــي الانسان. اللسان. الاذنان.. العينان..

الاول: كذبت. الانفاس تظل تتردد. والعروق تبقى تنبض. والخيال يحلـــــق..ثمـــة

حالة اخرى، يخرس فيها كل مافي الانسان. حالة واحدة وحيــدة (يــهجم عليه من الخلف. يطعنه بقوة) هي.. الموت..

الشيخ: (يسقط مضرجا بالدم) انت رسول الموت.. يا رسول الملك قاتل جبان.

الاول: (ينهال عليه طعنا بالسكين) خذ المزيد.. خذ.. لعلك تعترف بشجاعتي خــذ. هه.. خذ.. خذ..

الشيخ: (وهو يلفظ انفاسه) بهذا القدر من الغدر.. تصلح ان.. تــ.. تكــون.. و.. و.. ســـ.. سو.. ف.... تــ.. تــ.. كون.. (يخمد)

الثاني: ما.. ت.

الاول: قتله طول لسانه.. ما كنا لنأمن جانبه. (يعالج انتزاع السكين)

الثاني: ما هذا؟ قدر؟.. وطعام؟ هل.. أقام له وليمة؟

الاول: ارايت (بحقد) الكلب. انه من مريديه وانصاره (يحــاول انــتزاع الســكين) سكيني غارت اكثر مما ينبغي.. هيا.. اطعنه.. قبلما يفيق.. هيا.. هيـــا.. اسرع. ولا تدع الفرصة تضيع.

الثاني: (يشير سكينه يتردد في طعنه) لو امرنا احد رجالنا الخاصين..

الاول: في مهمات كهذه ، يتوجب على اليد اليسرى الا تعلم بمـــا تفعلــه اليمنـــى هيا.. هيا.. فيم ترددك؟ (يعالج انتزاع سكينه) سكينتي اخترقت عظامــــه. وغابت حتى المقبض استجمع شجاعتك وانقض عليه، والا نغص علينــــا عيشنا الى الابد. (الثاني ما يزال مترددا) اسرع يا حبيبـــي اســـرع انـــها فرصتنا الوحيدة.. لن تتهيا لنا سواها، ما حيينا.. صدقني.. هيا.. هيـــا.. والا قتلنا الندم. (الثاني يندفع نحو الامير، يطعنه)

الشخص: رررحما.. ك (يتحشرج صوته) آآآخ.. الر... حمة...

الثاني: (يواصل طعنه) معذرة.. شقيقي العزيز. الكرسي.. لا يتسع لثلاثة..

الاول: (وقد انتزع سكينه من حسد الشيخ وهي تقطر دما. ينقض علـــى الثـــاني

بسرعة خاطفة. يطعنه بقوة) و يضيق.. باثنين.. ايها الملك الكريم.

الثاني: (يسقط فوق جثة الامير. بحشرجة) يا خا.. خا..

الاول: (يقفز فوق الجثث يخطف الفانوس يفرغ ما فيه من زيت فوق الجثث الثلاث. يشعل النيران. يشعل فيها النيران. فتتصاعد السنة اللهب)

بصمت.. بصمت..
بلا نأمة.. ولا همسة.
بلا حركة.. ولا كلام..
وانتم نيام..
احترقوا.. بصمت.. بصمت تام..
وانتم.. نيام..
يا سادتي.. الكرام.

---

(١) و (٢) من المتعلقات بالذاكرة